ولكي يُدخل عنصر اخلال لهذه «الدبلوماسية الهادئة والسريّة»، قام الاتحاد السوفياتي بدعوة وفد من منظمة التحرير الفلسطينية لزيارة موسكو، في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤. وقد ضمّ الوفد برئاسة عرفات، كلاً من رئيس المجلس الوطني، خالد الفاهوم، وأعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة، فاروق القدومي وزهير محسن وطلال ناجي وحامد ابو ستة، اضافة الى حواتمة، وعضو المجلس الوطني، فايق ورّاد، ومدير مكتب رئيس اللجنة التنفيذية أحمد الازهري. وبالفعل، فقد انطوت هذه الزيارة على جانب كبير من الاهمية بالنسبة الى المنظمة؛ اذ التقى الوفد الفلسطيني، في اجتماع رسمي، رئيس مجلس الوزراء، الكسي كوسيغن، الى جانب اجتماعه الى غروميكو وبوناماريوف. وفي البيان الختامي، الذي أُصدر عقب المباحثات، أعرب الجانب الفلسطيني «عن امتنانه العميق لموقف الاتحاد السوفياتي المبدئي النبيل في صدد حل المشكلة الفلسطينية، والتسوية في الشرق الاوسط، وكذلك للمساعدة الفعّالة النزيهة الدائمة التي يقدّمها الاتحاد السوفياتي الى البلدان والشعوب العربية»؛ فيما أوضح الجانب السوفياتي، في البيان، رأيه في مؤتمر جنيف في انه المكان الملائم لحل مشكلة الشرق الاوسط، والذي «ينبغي ان يشارك في أعماله ممثلون عن الشعب الفلسطيني على أساس التكافؤ في الحقوق مع المشتركين فيه»[١٢٩]. كما أيّد الاتحاد السوفياتي نضال الشعب الفلسطيني «من اجل حقوقه الشرعية»، بما في ذلك حقه الذي لا ينتزع «في تقرير المصير واقامة كيانه القومي، الى حدّ تشكيل دولته»، وهذه هي أول مرة يشار فيها، في بيان رسمي، الى تأييد الاتحاد السوفياتي اقامة دولة فلسطينية. كما رحّب الجانبان بقرارات قمّة الرباط التي اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني؛ ورحّب الجانبان، كذلك، بالقرار الذي اتُخذ في صدد اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، بقيادة المنظمة «في اراضي فلسطين التي سوف تحرّر بانسحاب القوات الاسرائيلية من [على] الاراضي العربية المحتلة، وفقاً لقرارات الامم المتحدة المعروفة»، من دون تحديد «لهذه القرارات المعروفة ». الاّ ان الاتحاد السوفياتي أكد استعداده الدائم «لدعم الدولة الفلسطينية، حين تقوم، بكل ما يستطيع»[١٣٠].

ولا ريب في ان موضوع الدولة الفلسطينية كان يعتبر موضوعاً معقّداً لعدد من الاسباب، في المقدّم منها التردّد لدى الجانب الفلسطيني في الاعلان عن مثل هذا الهدف. وهكذا كان البيان المشترك، البارز في حثّه على دولة فلسطينية، من دون الاشارة الى مكان اقامة هذه الدولة. ويبدو ان موسكو أهملت، تقريباً، طلب منظمة التحرير الفلسطينية في دعمها لاقامة دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين، حيث كان مفهوم الدولة الفلسطينية، بالنسبة الى موسكو، هو اقامتها الى جانب اسرائيل. ولقد جاء في مذكّرة الاتحاد السوفياتي الى عدد من قادة المنظمة، وفي عرض الوضع للموالين له في الجبهة الوطنية الفلسطينية، اضافة الى المقالات التي نُشرت والبحوث التي كُتبت عن الفلسطينيين، أوضحت، بما لا يدع مجالاً للشك في ان فكرته عن الدولة تشبه ما تعنيه العبارة التي كانت متداولة عن فلسطينيي الرفض، في انها «دويلة»، أي دولة تنشأ في الاراضي المحررة من الاحتلال الاسرائيلي، أو كما تفسّره موسكو دولة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة[١٣١].

ومن الاشارات ذات المغزى، في هذا الاتجاه، امتدحت موسكو حواتمة في احدى المناسبات لقبوله هذا الموقف، مع انه، في الحقيقة، وافق على «دويلة»، كمرحلة أولى فقط. وبصورة مشابهة، ادّعى الاتحاد السوفياتي بأن عرفات وافق على هذه الفكرة؛ كما انه روّج فكرة ان ما ادّعاه كان قراراً صادراً عن المجلس الوطني الفلسطيني اتخذه في الدورة الثانية عشرة، لدعم الفكرة. وفي الواقع، كان برنامج المجلس يتحدث عن «حكومة مقاتلة» ـ بل من الافضل ان تترجم بكلمة أكثر دقّة قانونية